إلى إمام الأزهر

العقائد الوثنية
في الكتب الأزهرية
للأستاذ محمود أبو رية

هذه كلمة خالصة نرجو أن تبلغ مسامع الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، وأن تصيب مكان العناية منه فينهض بما أوتي من علم واسع وعزم قوي إلى العمل على تخليص العقائد الدينية من نزعات الوثنية، وتحرير العقول من رق التقاليد الخرافية، حتى تصبح هذه العقائد سالمة خالصة، وتنطلق العقول والأفكار إلى العمل على كل ما يعود عليها بالنفع والخير. وإنه إن يفعل ذلك يكون قد أقام الأصل الأول للدين الإسلامي وهو التوحيد الخالص، الذي هو (كمال الإنسان) كما قال أستاذنا الإمام محمد عبده، ووضع أساس الإصلاح في بلادنا إذ لا يقوم أي إصلاح في أي مرفق من مرافق الحياة إلا بعد تطهير العقائد وتحرير العقول. ذلك بأن العقائد الفاسدة كما لا يخفى تأخذ بأيدي معتقديها وأرجلهم، وتشل عقولهم عن التفكير الصحيح، وتصيب عزائمهم بالشلل الاجتماعي، فلا يعملون في الحياة ولا يُحسنون لها عدتها. وأنى لهم العمل وقد (رموا الحول ...) على ما اتخذوهم أولياء بزعمهم فاستيقنوا أنهم يقضون حاجاتهم ويجيبون دعواتهم

وإن الذي جعل العقائد الوثنية تفشو ولا ريب بين المسلمين هو أكثر شيوخ الأزهر بما يبثونه في فتاواهم وأحاديثهم ودروسهم ومجلاتهم، ولولاهم لما وجدت الوثنية سبيلاً إلى عقائد المسلمين، ذلك بأنك ترى الرجل من دجاجلة الصوفية يدس عقائد الشرك بين من يسمعهم مريديه، ويعبث ما شاء له الجهل أن يعبث بعقول هذه الطوائف الساذجة، فإذا التفت إلى الشيخ الأزهري، وهو الذي يرجى منه أن يعمد إلى ما يبنيه هذا الرجل الصوفي فيأتي عليه من القواعد، لتنظر ماذا يصنع إزاء ذلك وجدته يناصر هذا الدجال ويؤيده؛ وقد بلغ من بعضهم أن يمشي في ركابه ويدعو الناس إلى احترامه وإجلاله فيقول: إن العلم علمان: علم الظاهر وهو لنا، وعلم الباطن الذي هو علم الحقيقة وقد فاز به شيوخ الصوفية. وبذلك يصبح هذا الرجل الجهول قطب وقته وولي عصره

ولقد كنت يوماً أناقش أحد شيوخ الأزهر فيما يصنعه هو وأمثاله من العمل على إشاعة العقائد الوثنية بين المسلمين، فكان مما أجاب به: إن هذه الأمور قد درسناها على شيوخنا في الأزهر علماً وأخذناها عنهم عملاً، وهي ثابتة في الكتب الأزهرية. وقد

الوقت كله في مطالعة المؤلفات القيمة وهو لم يصدر — مدى حياته الأدبية الطويلة — إلا كتابين أو ثلاثة!!

وأنت ماذا جنيت أيها الشاعر الذي يقول إنه لا يرتاح ثانية من تصفح دواوين كبار الشعراء وهو لم يطلع الناس إلا على مقطوعات صغيرة، هيهات أن تتجمع ديواناً؟!

وأنت أيها القاص الذي لم يصدر إلا كتاباً واحداً لم يحو أكثر من عشر قصص، أكل ما وقع عليه بصرك من صور حية، ومناظر جمة تثير الفكر، وتمده بالحيوية مثبت في كتابك ذاك؟!

وأما أنت أيها الناسك المفكر، فأفق مما أنت فيه، واطفئ شمعتك الصغيرة التي لا تومض إلا ومضاً، واخرج إلى الحياة، إلى الشمس النيرة... اخرج إليها بجسمك وعقلك وروحك وقلبك، فإن لك فيها متسعاً!

لقد غزانا المؤلفون المصريون بمؤلفاتهم، وأثبتوها إثباتاً في بلادنا، فتقبلناها شاكرين، وعجزنا على مطالعتها متهافتين.

وذلك لأنها وافرة، لأنها غزيرة، ولأن في هذه الغزارة قيمة عالية.

ولم نستطع غزو مصر — حتى ولا غزو أنفسنا (إذا أردنا المبالغة) — بمؤلفاتنا، ولم يتقبلها المصريون لأنها نادرة، لأنها قليلة جداً، ولأن في هذه القلة قيمة ضئيلة

كلا! ليست «الدعاوة» التي قصرنا فيها هي السبب في قلة التفاتهم إلينا، وليست «الدعاوة» التي أوتوها حقها هي السبب في تهافتنا على أدبهم!

لا يمضي الشهر المصري دون أن نسمع أن كتابين أو ثلاثة قد صدرت، وتمضي السنة السورية واللبنانية — بل السنون — دون أن نسمع أن كتاباً واحداً قد صدر!

إنها كلمة صريحة آمل أن تُثبت فيقرأها أدباؤنا... على الجد يستحثهم، ويحققون ما يدعون بأن نهضة كبرى تترعرع في بلادنا.

(بيروت) «كاتب لبناني»

قرر شيخنا الدردير فى الخريدة أن من لا شيخ له فشيخه الشيطان . وقال إمامنا البيجورى فى حاشيته على الجوهرة : إن الله تعالى يوكل ملكا على قبر الولى يقضى حوائج الناس . فنحن لا نقول إلا عن علم ولا نفتى إلا بدليل . ثم التفت إلى متعجباً وقال : كأنك لم تقرأ ما ينشر كل يوم فى المجلات الدينية من الفتاوى العجيبة ، وآخرها فتوى قائمة الأربعاء القنـاوية . أو كأنك لم تطلع على القصيدة الصدفية فى الاستغاثة بالحضرة الأحمدية البدوية التى نشرت بمجلة الرسالة الغراء ! ألا قادرس العلم الصحيح فى مصادره ، وارجع إن أردت المزيد إلى ما أثبته الشيخان (الأكبران) الشرقاوى والبيجورى وهما ممن بلغوا درجة الإمامة وتولوا مشيخة الأزهر لترى كيف يكون علم العلماء المحققين . فغادرته ورجعت إلى هذه الكتب التى ذكرها لأرى ما فيها ، وما كدت أعبر بعض صفحاتها حتى تلقانى علم زاخر وجدت أن لا قبل لى بملاقاة أمواجه ، فقفلت راجعاً وقلت اللهم إن السلام فى الساحل

أما الكتاب الأول فهو شرح الخريدة البهية (للقطب الكامل والغوث الواصل أبى البركات سيدى أحمد الدردير)

قال هذا القطب بعد أن ذكر من العقائد ما شاء له علمه : إن على كل مسلم « اتباع شيخ عارف قد سلك طريق أهل الله على يد شيخ كذلك إلى أن ينتهى إلى رسول الله » ، ثم قال : «ومن لا شيخ له فشيخه الشيطان . وبعد ذلك أوجب على المسلمين تقليد الأئمة الذين ذكرهم اللقانى فى الجوهرة بقوله :

وما لك وسـائر الأئمـة كذا أبو القاسم هداة الأمة
فواجب تقليد حبر منهم كذا حكى القوم بلفظ يفهم

على أن المسلم لا يدرى ماذا يأخذ وماذا يدع فى هذا الأمر وهو يجد فى كتب العلم مع هذا القول قولا آخر هو :

ألا كل من لا يقتدى بأئمة فقسمته ضيزى عن الحق خارجة
فخذهم عبيد الله عروة قاسم سعيد سليمان أبو بكر خارجة

على أنا لا نعرض لذلك حتى لا نتحول عن تيار الحديث

ولما فرغ من وجوب تقليد الأئمة الأربعة قال باتباع أبى القاسم الجنيد ومن تبعه ، لأن من عداهم « من جميع الفرق على ضلال » ، ثم قال إن تمام النعمة فى اتباع الأقطاب الربانيين أسيادة أحمد الرفاعى وعبد القادر الجيلانى وأحمد البدوى وإبراهيم الدسوقى وأبو الحسن الشاذلى ومحمد الخلوتى وعبد الله النقشبندى وأتباعهم « فهؤلاء كلهم سادات الأمة المحمدية »

وقد جاء الشيخ (المحشي) وهو (العلامة الكبير والفهامة النحرير سيدى أحمد الصاوى) فترجم لهؤلاء الأقطاب الربانيين وذكر مناقبهم . وقد أورد من مناقب الرفاعى أنه (أراد شراء بستان فأبى صاحبه ألا يبيعه إلا بقصر فى الجنة) ، فقال له : (قد اشتريت منك بذلك) وكتب له عقداً هذه صورته : (بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما ابتاع إسماعيل من العبد أحمد الرفاعى ضامناً على كرم الله قصراً فى الجنة يحف به حدود : الأول لجنة عدن ؛ الثانى لجنة المأوى ؛ الثالث لجنة الخلد ؛ الرابع لجنة الفردوس ، بجميع حوره وولدانه وفرشه وأشربته وأنهاره وأشجاره عوضاً عن بستانه فى الدنيا ، والله شاهد على ذلك وكفيل) فلما مات إسماعيل دفن معه العقد فأصبحوا وإذا مكتوب على قبره « قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً »

ونقل من كرامات السيد البدوى أن ابن دقيق العيد اجتمع به فقال له إنك لا تصلى ، ما هذا سَنَن الصالحين . فقال له اسكت وإلا طيرت دقيقك ، ودفعه فإذا هو بجزيرة منعمة جداً ، فضاق ذرعه حتى كاد يهلك ، فرآه الخضر فقال له لا بأس عليك ؛ إن مثل البدوى لا يعترض عليه . إذهب إلى هذه القبة وقف ببابها فإنه سيأتيك العصر يصلى بالناس فتعلق بأذياله لعل أن يعفو عنك ، ففعل فدفعه فإذا هو ببابه

وساق من كرامات الدسوق أنه يعرف جميع اللغات حتى لغات الوحش والطير ، وأنه صام فى المهد ، ورأى اللوح المحفوظ وهو ابن سبع سنين ، وأنه ينقل اسم مريديه من الشقاوة إلى السعادة . ومن أراد أن يستزيد من معرفة مناقب هؤلاء الأبطال فليرجع إلى هذه الرسالة فإن فيها العجب العجاب

أما الكتاب الثانى فهو حاشيه الشيخ الباجورى على شرح ابن قاسم وقد جاء فى باب الجنائز ما يلى :

لو شاهدنا الملائكة تغسله (الميت) لم يسقط عنا

« ولو غسل الميت نفسه كرامة كفى كما وقع لسيدى أحمد البدوى أمدنا الله من مدده »

والكتاب الثالث هو حاشية الشيخ الشرقاوى على متن التحرير لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى وقد قال فى باب الجنائز